المحاضرة الثالثة: مقرر: علم الإنسان الثقافي ف٢- السنة الأولى- قسم علم الاجتماع

د. أميرة عرقسوسي

عنوان المحاضرة: أولا: خصائص الباحث الأنثروبولوجي

ثانياً: مدخل إلى الأنثروبولوجيا الثقافية

أولا: خصائص الباحث الأنثروبولوجي:

توجد مجموعة من الخصائص التي يجب أن يتمتع بها الباحث الأنثروبولوجي، نذكر منها:

١- أن يكون قد تخصص في الدراسات الأنثروبولوجية سواء النظرية منها أم الحقلية.
٢- حاصل على شهادة جامعية عليا في مجال الأنثروبولوجيا.
٣- هذا التخصص يملي عليه أن يقوم بأبحاث نظرية وحقلية بإشراف أساتذة متخصصين في مجال الأنثروبولوجيا.
٤- أن يمتاز بخلفية أنثروبولوجية.
٥- يحتاج الباحث الأنثروبولوجي إلى تعليم مستمر وتثقيف ذاتي في ميدان العلم الأنثروبولوجي، لماذا؟
لأن العلم من أهم خصائصه التراكمية، أي دائما يوجد فيه الجديد سواء على المستوى النظري أم على مستوى المنهجية.
٦- أن يمتاز بالقدرة على الملاحظة وإتقان فن وآليات المعايشة مع الأفراد، ذلك أن الوسيلة الأساسية لجمع البيانات في الأبحاث الأنثروبولوجية هي الملاحظة بالمشاركة لمعرفة ثقافة الأفراد والمجتمع المبحوث.
٧- واسع المعرفة بعادات الناس وما يمرون به من تغير وتطور.
٨- أن يمتاز بمهارة اختيار المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بموضوع بحثه.
٩- عند معايشة أفراد المجتمع سيواجه الباحث صعوبات وضغوطات، الأمر الذي يتطلب منه التحلي بالصبر والهدوء.

١٠- متابعة الباحث الأنثروبولوجي للأبحاث النظرية والحقلية ومراجعتها والتعرف إلى النتائج التي تم التوصل إليها، وما قدمته من تحليل وتفسير للقضايا التي تم دراستها.

ثانياً: مدخل إلى الأنثروبولوجيا الثقافية:

١: تعريفها وموضوعاتها

٢: نشأة الأنثروبولوجيا الثقافية وأعلامها

٣: مراحل الدراسات الأنثروبولوجية الثقافية

١- تعريفها وموضوعاتها:

الأنثروبولوجيا الثقافية (Cultural anthropology) هي: فرع (قسم) من فروع الأنثروبولوجيا العامة، المعنى المحدد لهذا العلم يتمثل بدراسة الثقافات، فالموضوع الرئيسي لدراساتها النظرية والحقلية هو الثقافة بمعناها الأنثروبولوجي. فهي ذلك العلم الذي يهتمّ بدراسة الثقافة الإنسانية وأساليب حياة الإنسان وسلوكياته النابعة من ثقافته. وهي تدرس الشعوب القديمة كما تدرس الشعوب المعاصرة.

فالمعنى المبسط لذلك المفهوم هو طريقة معيشة مجتمع ما ، ومن أهم عناصر الثقافة اللغة، فعن طريقها تجمع وتسجل الثقافة وتنقل من جيل الى لآخر فيمكن نموها وتقدمها ، كما إن الثقافة تزود اللغة بمعظم مضموناتها، فهي التي تعطي الإنسان الموضوعات التي يتكلم عنها، وتشمل الثقافة كذلك كل ما يصنعه الإنسان من عناصر المادة مثل الملبس والآلات والأدوات التي تزداد كثافة كلما تقدم الإنسان،

وقد عرف العالم (إدوارد تايلور) الثقافة: بأنها ذلك الكل المركب الذي يضم المعرفة والعادات والمعتقدات والأخلاق والفن والقانون، وأي قدرات أخرى يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن اختلاف علماء الأنثروبولوجيا الثقافية حول تفسيرهم لنشأة الثقافة وتباينها وما ينتج عنها من طبائع مختلفة ومتشابهة للناس شكّل هماً أنثروبولوجياً في أوساط هذا العلم، على الرغم من أن هؤلاء العلماء قد أقروا بمبدأ وقانون تطور الثقافات.

٢- نشأة الأنثروبولوجيا الثقافية وأعلامها:

لا يمكن القول أن دراسة الإنسان وثقافته هو حكراً على العصر الحديث، حيث لم يخلو تاريخ الإنسان من بعض الاهتمامات المختلفة من دراسة الإنسان وثقافته في الماضي والذي تمثل في:

- الاهتمام بالأساطير والحكايات ذات العلاقة بالدين (أساطير الإنسان).
- تحقيق بعض الإنجازات الثقافية: كاكتشاف النار مثلاً أو اكتشاف بعض الأدوات التي يستخدمونها في الصيد والطعام.
- أما في الشعوب القديمة التي ساد فيها التعليم، فقد قدمت لنا تراثاً شعبياً يتمثل في قصص الإغريق وأساطيره تحت أصل الزراعة والنار.

وقد قدم (هيرودت) الذي كان من أبرز المفكرين الإغريقيين الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، بعض الفروض حول لغة الإنسان، ومنذ القرن الخامس عشر بدأت تتراكم كميات كبيرة من المعلومات عن الإنسان، وتجمع ذلك الكم عن طريق الرحالة والتجار والجنود، وامتزج في ذلك الكم القليل من الحقائق والكثير من الحكايات. لكن على الرغم من ذلك فإن المادة التي جمعت في تلك الفترة شكلت الركيزة الأولى التي نهضت على أساسها الأنثروبولوجية الثقافية.

ويبين تاريخ الأنثروبولوجيا الثقافية أن نشأتها وتطورها ودراساتها الأساسية تمت على مجتمعات صغيرة ومحدودة العدد.

ولم تظهر الأنثروبولوجيا الثقافية كعلم مستقل عن الأنثروبولوجيا العامة إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ويعود الفضل في ذلك إلى العالم الإنكليزي (إدوارد تايلور)، الذي قدم أول تعريف شامل للثقافة عام ١٨٧١ في كتابه (الثقافة البدائية)، ومنذ ذلك الحين مرت الأنثروبولوجيا الثقافية بمراحل متعددة حتى وصلت على ما هي عليه في العصر الحاضر.

وتتمثل هذه المراحل بالآتي:

- المرحلة الأولى: تمتد من ظهور هذه الأنثروبولوجيا وحتى نهاية القرن التاسع عشر، وكانت عبارة عن محاولات لرسم صورة عامة لتطور الثقافة منذ القدم والبحث أيضاً في نشأة المجتمع الإنساني.

وظهر في هذه المرحلة إلى جانب العالم الإنكليزي (إدوارد تايلور) العالم الأمريكي (بواز) الذي أخذ بالاتجاه التاريخي في دراسة الثقافات الإنسانية، وذلك من جانبين:

أولهما: إجراء دراسات تفصيلية لثقافات مجموعات صغيرة، كالقبائل والعشائر ومراحل تطورها.

ثانيهما: إجراء مقارنة بين تاريخ التطور الثقافي عند مجموعة من القبائل، بغية الوصول إلى قوانين عامة أو مبادئ تحكم نمو الثقافات الإنسانية وتطورها.

- المرحلة الثانية: تمتد بين (١٩٠٠- ١٩١٥)، وتعد المرحلة التكوينية حيث تركزت الجهود في الدراسات والأبحاث على مجتمعات صغيرة محدودة لمعرفة تاريخ ثقافتها ومراحل تطورها، وبالتالي تحديد عناصر هذه الثقافة قبل أن تنقرض.

وبناء على ذلك جرت دراسات عديدة على ثقافة الهنود الحمر في أمريكا، وتوصل الباحث الأمريكي (وسلر) إلى أسلوب يمكن من خلاله دراسة أي إقليم أو منطقة في العالم تعيش فيها مجتمعات ذات ثقافات متشابهة، وهو ما اصطلح على تسميته (المنطقة الثقافية). وقد شبه (وسلر) المنطقة الثقافية بدائرة تتركز معظم العناصر الثقافية في مركزها وتقل هذه العناصر كلما ابتعدت عن المركز.

المرحلة الثالثة: تقع بين (١٩١٥- ١٩٣٠)، وتعدّ فترة الازدهار، حيث تميّزت بكثرة البحوث والمناقشات في القضايا التي تدخل في صلب علم الأنثروبولوجيا الثقافية، ولاسيّما تلك الدراسات التي تركّزت في أمريكا. ويرجع ازدهار الأنثروبولوجيا في تلك الفترة، إلى نضج هذا العلم ووضوح مفاهيمه ومناهجه. وترافق ذلك بازدهار المدرسة التاريخية في أمريكا، وظهور المدرسة الانتشارية في إنكلترا، ولا سيّما بعد الأخذ بمفهوم (المنطقة الثقافية) الذي طرحه / وسلر / كإطار لتحليل المعطيات الثقافية وتفسيرها، والتوصّل إلى العناصر المشتركة بين الثقافات المتشابهة.

المرحلة الرابعة: ومدّتها عشر سنوات فقط، وتقع ما بين (١٩٣٠- ١٩٤٠). وعلى الرغم من قصر مدّتها، فقد أطلق عليها الفترة التوسّعية، حيث تميّزت باعتراف الجامعات الأمريكية والأوروبية بالأنثروبولوجيا الثقافية كعلم خاص في إطار الأنثروبولوجيا العامة، وخصّصت لها فروع ومقرّرات دراسية في أقسام علم الاجتماع في الجامعات.

وقد وظهرت في هذه الفترة النظرية (التكاملية) التي تبنّاها (سابير) عالم الاجتماع الأمريكي، واستطاع من خلالها تحديد مجموعة متناسقة من أنماط السلوك الإنساني، والتي يمكن اعتمادها في دراسة السلوك الفردي، لدى أفراد مجتمع معيّن، حيث أنّ جوهر الثقافة هو في حقيقة الأمر، ليس إلاّ تفاعل الأفراد في المجتمع بعضهم مع بعض، وما ينجم عن هذا التفاعل من علاقات ومشاعر وطرائق حياتية مشتركة . وقد تأثّرت الأنثروبولوجيا في هذه الفترة- إلى حدّ بعيد- بالأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولا سيّما في مفاهيمها ومناهجها، وذلك بفضل الأبحاث التي قام بها كلّ من (مالينوفسكي وبراون) في مجالات الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

المرحلة الخامسة: وهي الفترة المعاصرة التي بدأت منذ عام ١٩٤٠، وما زالت حتى الوقت الحاضر. وتمتاز هذه المرحلة بتوسّع نطاق الدراسات الأنثروبولوجيا،

خارج أوروبا وأمريكا، وانتشار الأنثروبولوجيا الثقافية في العديد من جامعات الدول النامية، في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينينية.

وترافق ذلك مع ظهور اتّجاهات جديدة في الدراسات الأنثربولوجية، كان الاتّجاه القومي في مقدّمة هذه الاتّجاهات الحديثة في الأنثروبولوجيا الثقافية، والذي يهدف إلى تحديد الخصائص الرئيسة للثقافة القوميّة. ويسمّى الاتجاه القومي في تقييم الثقافة ((الانطوائية القومية))، والتي تعني: أنّ الانسان يفضّل طريقة قومه في الحياة، على طرائق الأقوام الأخرى جميعها. تلك هي النتيجة المنطقية لعملية التثقيف الأولى، والتي يتّفق بها شعور معظم الأفراد نحو ثقافتهم الخاصة، سواء أفصحوا عن هذا الشعور أو لم يفصحوا.

وقد أخذت بهذا الاتّجاه الباحثة الأمريكية (روث بيندكيت) التي قامت بدراسة الثقافة اليابانية خلال الحرب العالمية الثانية، وكذلك درست ثلاث مجموعات من قبائل الهنود الحمر، وجمعت هذه الدراسة في كتاب لها هو (نماذج من الثقافة). ويعد هذا الكتاب من الكتب المؤسسة للأنثروبولوجيا الثقافية. وقد تأثرت (روث بندكت) بأستاذها الأمريكي (فرانس بواز) الذي درس ثقافة الهنود في الساحل الشمالي الأمريكي، واستغرقت دراسته أكثر من أربعين عاماً.

وكانت من أهمّ الاتجاهات الحديثة أيضاً في الأنثروبولوجيا الثقافية، تلك الدراسات التي عنيت بالمجتمعات المتمدّنة، وما أطلق عليها ((دراسة الحالة)). كدراسة أوضاع قرية أو عدد من القرى المتجاورة، أو في منطقة معيّنة، أو دراسة ثقافة خاصة بمجموعة أو بفئة من البشر. إضافة إلى دراسات أكاديمية تتعلّق بخصائص الأنثروبولوجيا الثقافية ومبادئها، ومناهج البحث فيها وطرائقها وأساليبها .. وغيرها ممّا يسهم في إجراء الدراسات على أسس موضوعية وعلمية تحقق الأهداف المرجوة منها.

أيضاً من أهم أعلام الأنثروبولوجيا الثقافية (مارغريد ميد) التي درست الثقافة في أكثر من مكان في العالم، وجمعت هذه الدراسات في كتاب بعنوان (من بحار الجنوب دراسات عن المراهقة والنوع في مجتمعات بدائية).

كذلك من مؤسسي الأنثروبولوجيا الثقافية (رالف لنتون)، أهم كتبه (دراسة الإنسان) و (شجرة الثقافة).

٣- مراحل الدراسات الأنثروبولوجية الثقافية:

توجد ثلاثة مراحل للدراسات الأنثروبولوجية الثقافية، تتمثل بالآتي:

١.٣- المرحلة السابقة للدراسات الحقلية:

في هذه المرحلة يعد الباحث نفسه لمعرفة منهجية بالنظريات والمناهج الأنثروبولوجية، أيضاً يتعرف على مدارس الأنثروبولوجيا أعلامها ودراساتها والجديد الذي توصلوا إليه في ميدان دراسة الثقافة. بمعنى آخر: تكوين خلفية أنثروبولوجية لدى الباحث.

فمثلاً يستفيد الباحث من النظريات الأنثروبولوجية بأنها تقدم له معرفة بكيفية صياغة التساؤلات والفرضيات المرتبطة بموضوع بحثه.

٢.٣- مرحلة الدراسة الحقلية (الميدانية):

في هذه المرحلة تتم الخطوات الآتية:

- ❖ يقوم الباحث الأنثروبولوجي بدراسة استطلاعية لمجتمع البحث.
- ❖ يختار وسيلة لجمع البيانات عن موضوع بحثه.
- ❖ تأمين الإقامة في مجتمع البحث والحصول على إذن للقيام بالدراسة في هذا المجتمع.
- ❖ يتعرف إلى لغة ولهجات أفراد المجتمع المبحوث، ويستعين الباحث بمترجم إن لزم الأمر.
- ❖ يعتمد الباحث في هذه المرحلة في دراسته للثقافة على الأدوات الآتية:
  - الملاحظة بالمشاركة.
  - المقابلة لأصحاب الأمر من وجهاء ورؤساء عشائر ومسؤولين.
  - إعداد استمارة تتضمن أسئلة حول موضوع البحث، أو تسجيل المقابلات على أجهزة تسجيل.
  - دراسة تاريخ مجتمع البحث والأفراد المبحوثين.

٣.٣- المرحلة الأخيرة من الدراسة الحقلية:

في هذه المرحلة يقوم الباحث بعدة خطوات تتمثل بالآتي:

- ❖ يقوم الباحث بعد جمع البيانات بمراجعة كل ما جمعه وكتبه وسجله ودونه من ملاحظات.
- ❖ تنظيم البيانات وترتيبها حسب أولوياتها التي يحددها مخطط الدراسة.
- ❖ فحص البيانات من حيث إذا كانت تجيب عن تساؤلات البحث.
- ❖ معرفة مدى صلتها بالأبحاث والدراسات السابقة.
- ❖ التعرف إلى النتائج التي توصل إليها الباحث من دراسته وما الجديد الذي أتت به هذه الدراسة.
- ❖ ما علاقة هذه النتائج بالحقائق الثقافية في مجتمع الدراسة الحقلية.

انتهت المحاضرة